المعادن والنبات والحيوان لان تلك الصور ان كانت مصدرا
لحفظ العناصر المتداعية الى الانفكاك فقط فهي الصورة المعدنية
وان كانت مع ذلك مصدر التغذية والتنمية وتوليد المثل فهي الصورة
النباتية وان كانت مع ذلك مصدرا للحس والحركة الارادية فهي
الصورة الحيوانية والمزاج هو الكيفية المتوسطة الحاصلة من تفاعل بسايط
العناصر الاربعة اذا امتزجت لابد ان تنكسر صرافة كل واحد منها بالاخر
وهو المسمى بالتفاعل وتحصل كيفية متوسطة بين الكيفيات المتضادة
بسبب تفاعل العناصر بعضها في بعض ومعنى التوسط انها لا تكون
حارة ولا باردة في الغاية ولا رطبة ولا يابسة في الغاية بل تستحر
بالقياس الى البارد وتستبرد بالقياس الى الحار وكذا في الرطوبة
واليبوسة بان تصغر اجزاؤها بان لما تحصل التفاعل اي
هذا التفاعل لا تحصل الا بان تصغر اجزاء البسايط فيختلط
بعضها ببعض ويتم تأثير كل منها الى الاجزاء الباطنة لذي الحجم
الكبير وذلك لان التفاعل انما تحصل بالتماس والتماس انما هو بالسطوح
وكلما كانت السطوح اكثر كان التاثير اكثر وكثرة السطوح انما تكون بكثرة التماس ٣
الاجزاء وكثرة الاجزاء لا تحصل الا بتصغيرها فكان من ضرورة
المزاج تصغير الاجزاء بحيث تنكسر سورة كل واحد منها سورة كيفية
الاخر فتحدث كيفية متوسطة اعلم ان العناصر اذا امتزجت وتفاعلت
فلا يمكن ان تفعل كل واحد منها في الاخر من حيث تنفعل عنه لان
فعل كل منها ان كان مع انفعاله يلزم ان يكون الشيء الواحد
بالنسبة الى الاخر غالبا مغلوبا معا وان كان فعله في الاخر متقدما على انفعاله
عنه يلزم ان يصير الاخر المغلوب غالبا عليه وان كان بعد انفعاله
عنه يلزم ان يكون غالبا بعدما كان مغلوبا فاذا لا بد وان يكون
فعل كل منها في الاخر من جهة غير جهة الانفعال ولا يجوز ان يكون من
حيث المادة فاعلا لان المادة من حيث هي مادة قابلة والقابل من

حيث هو قابل لا يكون فاعلا ولا يجوز ان يكون الفاعل هو الصورة والكيفية
هي المنكسرة لان الصورة انما تكسر بواسطة الكيفية فيلزم ان يكون الكاسر
منكسرا والمنكسر كاسرا او الشيء في حالة واحدة غالبا مغلوبا كاسرا منكسرا
لان مجموع الصورة والكيفية يكون كاسرا والمجموع ايضا يكون منكسرا
والحق ان الفاعل هو الكيفية والمنفعل المادة ولذلك تحصل الكيفية
المتوسطة بين الحار والبارد اذا امتزجا من غير حصول صورة اولى
لاشك ان المادة لا تنفعل بحسب الذات اذ لا تحصل تفرقة بل انما تنفعل
بحسب الكيفية فيلزم المحذور الرابع في حدوثها هذه المسئلة من المسائل
الجليلة لهذا العلم وهي مما تحيرت العقول فيها فذهب المسلمون وساير
اهل الاديان الى ان الاجسام محدثة بذواتها وصفاتها وقال ارسطو
الافلاك قديمة بذواتها وصفاتها المعينة كالشكل والمقدار المعين
وما يجري مجراهما مما لا تنفك عنها سوى الاوضاع اللازمة عن حركاتها
لان كل وضع مسبوق باخر والعناصر مولدة اي بهيولاتها فانها قديمة
بشخصها اذ لو كانت حادثة بشخصها لاحتاجت الى مادة لان كل حادث
مسبوق بمادة ويلزم التسلسل واما صورها الجسمية فقديمة بنوعها
لان الهيولى لا تنفك عن الصورة الجسمية وهي قديمة وليست قديمة
بشخصها لان كل اتصال يعدم بطريان الانفصال ويحدث اتصال
اخر واما صورها النوعية فقديمة بجنسها لان الهيولى القديمة لا تنفك
عن صورة منوعة وليست قديمة بنوعها لما ثبت من الكون والفساد
فهي قديمة بجنسها وانما قال في الصورة الجسمية قديمة بنوعها وفي النوعية
بجنسها لان مطلق الصورة الجسمية طبيعة واحدة نوعية لكونها مقولة على
امتدادات متفقة الحقيقة واما مطلق الصورة النوعية فهي مقولة على
صور العناصر والافلاك النوعية وهي طبايع مختلفة لا محالة لاختلاف
لوازمها وقال من قبله من الحكماء السابقين عليه الكل اي الاجسام كلها
فلكية كانت او عنصرية قديمة بذواتها محدثة بصورها الجسمية والنوعية

Copyright © King Saud University